ذكرى التحرير يجب تخليدها حضاريا بما يليق بمستواها

اشهر لوحات «رينوار» رسمها تحت آلام المرض لقناعته بأن «الجمال باق والالم زائل»

عقل متوقد في جسم مشلول صنع معجزة جسر بروكلين

بدأت الكتابة المنتظمة في جريدة «القبس» منذ اكثر من ثلاثة اعوام، وحيث ان اغلب الموضوعات التي تطرقت اليها لا تمت للساخن من الاحداث بصلة فانني عادة ما اقوم بكتابة مجموعة من المقالات في الجلسة الواحدة، وارسلها للجريدة واتبعها خلال أيام قليلة بمجموعة اخرى، وعادة ما تتكدس عند المسؤول عن المقالات مجموعة منها لا يعرف كيف ينشرها، وكان المخرج المناسب لهذا الوضع هو اختيار المناسب منها لصفحة «الرأي الآخر» ولكن تسبب هذا الامر في مشكلة حيث تبين انني، وفي فترة ثمانية اشهر، قمت بثلاث محاولات ناجحة لاحتلال صفحة «الرأي الآخر» وهذا ما لم يحدث مع احد من قبل، ولا يتفق وتقاليد الصفحة الاخيرة الصارمة.

بعد اتفاق (الجنتلمان) الذي عقدته مع الجريدة بنشر مقالاتي على اساس خمسة ايام في الاسبوع في صفحة المقالات الداخلية (عدا يومي الخميس والسبت حيث الاول عطلة الحكومة والثاني عطلة المصارف وشركات الاستثمار) فقد انخفض تكدس المقالات عند الجريدة الى حده الادنى، ولكن حنيني لاحتلال تلك الصفحة لم ينقطع فقررت غزوها، هذه المرة، بطريقة مختلفة واضعا نصب عيني ما يصاب به المواطن الكويتي، في هذه الفترة من العام، من ملل رهيب ناتج عن مرور وقت طويل على آخر اجازة طويلة قضاها خارج البلاد.. طبعا عدا عن اجازات الاعياد القصيرة.

السنة السابعة بعد التحرير.. ثم ماذا؟

دخلنا في السنة السابعة من التحرير، ولا يزال الكثير من اثار الغزو السخيف والحقير يذكرنا به. فمن اسر لا يزال في الاسر، ومن فقد لا يزال من فقده يأمل في عودته، وما خسره الوطن من ارواح لا يمكن ان يعوض بمال الدنيا كلها، وبقي الطعم المر للكثير من الذكريات عالقا تحت لسان الغالبية منا.. لا نود ان ننساه، وكأن المأساة ستتكرر مرة اخرى.

دروس وعبر وتجارب بالمئات مررنا بها وذهبت كلها ادراج الرياح لم نتعلم منها شيئا، وعادت، ليس حليمة فقط بل وفاطمة وخديجة ومريم وسارة وبقية اخواتهن واخوانهن الى عاداتهم القديمة والبالية، وكأن شيئا لم يزلزل هذه الارض قبل ست سنوات فقط فقدنا فيها الارض والاهل والصديق والشريك والرفيق والحبيب، ولكن لم نفقد الامل فيها يوما واحدا

كل ما خرجنا به من تجربة الغزو الثرية والعميقة لم يتعد مجموعة من الكتب الهزيلة والدراسات السطحية والمجلدات المصورة والمصقولة، ومئات من الصور والملصقات التي شاركنا بها في العديد من المعارض والمناسبات والمنتديات.. ولا شيء غير ذلك.

اين ذهبت ارواح الشهداء؟ واين انتهت انجازات هذا الشعب الصغير اثناء الاحتلال؟ وماذا حدث لقصص صموده ومقاومته، وكيف لم نستطع حتى اليوم ان نخلد هذه الذكريات بطريقة حضارية تليق بمستوى الحدث؟ .. لست ادري!

...ويبقى الجمال

يقول الفيلسوف والشاعر الفرنسي الكبير «موليير» «كلما كانت العقبات اعظم كان الوصول للهدف أروع».

***

كان الرسام العالمي «هنري ماتيس» يصغر الرسام الفرنسي العظيم «اوغوست رينوار» بثمانية وعشرين عاما،ولم يمنع فارق السن الكبير بينهما من ان يصبحا صديقين حميمين. وعندما اضطر «رينوار» للازمة منزله، في السنوات العشر الاخيرة من حياته بسبب مرضه، كان صديقه المخلص ماتيس يزوره بشكل يومي. وبالرغم من مرض المفاصل الذي اصيب به «رينوار» الا انه استمر بالرسم، وكان صديقه يلاحظ ما يعانيه من الم شديد عند كل «ضربة» فرشاة يقوم بها. وفي يوم ما لم يستطع ماتيس تحمل رؤية صديقه العزيز وهو يقاوم كل تلك الآلام المبرحة فصاح به : اوغست، لماذا تصر على الاستمرار في الرسم وانت تعاني من كل هذه الآلام الشديدة؟ فاجابه «رينوار» بكل هدوء وبساطة: ان الجمال باق اما الالم فزائل!

قام رينوار برسم احدى اشهر لوحاته والمسماة بـ «السابحات» قبل سنتين من موته، وكان ذلك بعد اربعة عشر عاما من اصابته بمرضه اللعين!

معجزة الجسر

«عندما تكون السماء اكثر سوادا نستطيع ان نرى النجوم بطريقة افضل»

(شارلز بيرد)

***

يعتبر جسر «بروكلين» الذي يربط جزيرة منهاتن بمنطقة بروكلين معجزة هندسية رائعة. في عام ١٨٨٣ توصل المهندس «جون ربلنج» الى فكرة بناء الجسر، ولكن واجهته مجموعة من الاعتراضات من خبراء بناء الجسور في ذلك الوقت الذين بينوا له استحالة تنفيذ ذلك العمل من الناحية الهندسية، ولكن ربلنج لم يستسلم لليأس واقنع ابنه، المهندس ايضا، بفكرته، واستطاع الاثنان بعد جهد كبير من اقناع السلطات المحلية بفكرتهما، وبالكثير من العناء والعناد تمكنا ايضا من اقناع مجموعة من اصحاب المصارف بتمويل مشروعهما الكبير والخطير.

بدأ البناء بحماس منقطع النظير، وفجأة وفي الاشهر الاولى منه وقع حادث مؤلم في الموقع نتج عنه موت «جون ربلنج» تحت الانقاض واصابة ابنه بجروح خطيرة اصيب على اثرها الابن «واشنطن» بتلف كبير في الدماغ منعه من الحركة والكلام. اعتقد الجميع بأن المشروع قد مات بموت صاحبه واصابة ابنه بالشلل التام، حيث ان فكرة بناء الجسر كانت معروفة لدى الاب وابنه فقط. بالرغم من العجز الخطير الذي اصيب به الابن «واشنطن» الا ان دماغه بقي متوقدا ونشطا ولكنه كان عاجزا كليا عن القيام بأي عمل مجد.

وفجأة لمعت «لواشنطن» فكرة تمكن من خلالها من توصيل ما يريد قوله بواسطة شيفرة للتواصل بينه وبين زوجته وذلك عن طريق استعمال اصبعه، وهو الجزء الوحيد الذي كان بامكانه تحريكه في جسده، وذلك بالضغط على راحة يدها بما يود قوله لها، واستطاع عن طريق ذلك اصدار التعليمات اللازمة للاستمرار في مشروع بناء الجسر، واستمر «واشنطن» في عملية اعطاء التعليمات بتلك الطريقة لمدة ١٣ عاما متواصلة حتى تم بناء الجسر في نهاية الامر.

وعندما تزور، يا صديقي القارئ، مدينة نيويورك في المرة المقبلة اطلب من سائق سيارة الاجرة ان يأخذك الى جسر بروكلين الشهير لتشاهد احدى معجزات التحدي الشهيرة في زمن اليأس هذا.

قصة هانس الصغير

منذ سنوات عديدة وفي قرية صيد صغيرة في هولندا علم صبيّ الكثيرين معنى نكران الذات. كانت عملية الصيد في تلك القرية تتطلب كامل جهود اهلها، حيث انه مصدر رزقهم الوحيد، فقد تطلب هذا الامر ضرورة وجود فريق انقاذ متطوع لمواجهة حالات الطوارئ.

وفي ليلة باردة من ليالي الشتاء هبت عاصفة رعدية قوية على القرية تسببت في تعرض سفينة كانت تمر وقتها بالقرب من سواحل القرية الى الغرق مما دعاها لارسال رسالة استغاثة للقرية. خرج قارب النجاة على الفور وفيه مجموعة من الرجال، ووقف آخرون على الشاطئ يحملون فوانيس الكيروسين الصغيرة ويقاومون برودة الطقس الشديدة ليدلوا الجميع على مكان الشاطئ. بعد ساعة، ومن خلال الضباب الكثيف، ظهر قارب النجاة وعلى ظهره ركاب السفينة المنكوبة وسقط الجميع على رمال الشاطئ من شدة الاعياء وسط تهليل الجميع، ولكن قبطان قارب الانقاذ طلب منهم الصمت حيث انهم قد تركوا خلفهم في السفينة المنكوبة شخصا واحدا لم يكن له مكان ابدا في قارب النجاة الصغير الذي حمل باكثر من طاقته بكثير، وطلب من الاهالي تكوين فريق انقاذ جديد ليقوم بعملية انقاذ ذلك الشخص حيث انهم كانوا في منتهى الانهاك.

تقدم هانس الصغير الذي كان يبدو اكبر من عمره، الى الامام عارضا المشاركة في عملية الانقاذ، حاولت امه ان تثنيه عن ذلك وقالت له وهي تشده من قميصه : لقد مات والدك في حادثة مماثلة من عشر سنوات، وفقدنا اخاك «سول» في البحر منذ اسابيع ثلاثة ولا نعرف عنه شيئا الى اليوم، ولا اريد ان افقدك انت ايضا فلم يتبقَ لي في هذه الدنيا احد غيرك...! فقال هانس لامه : يجب ان اذهب يا اماه.. ماذا سيحدث لذلك الرجل الوحيد في القارب المعطوب لو تردد الجميع في المشاركة في عملية انقاذه؟... ان عليَّ واجبا وساؤديه.. قبّل والدته بسرعة وانضم الى فريق الانقاذ، واختفى قاربهم خلف الضباب الكثيف في عرض البحر، وبعد نحو ساعة او اكثر قليلا مرت على ام هانس كانها قرن من الزمن، ظهر قارب الانقاذ وكان هانس يقف على خشبة المقدمة رافعا كلتا يديه الى اعلى، فصاح به الكابتن من الشاطئ : هل وجدتم الرجل؟ وبصوت كان من الصعب التحكم في نبرته العاطفية صاح هانس باعلى صوت : نعم لقد احضرناه معنا، قل لامي انه اخي الكبير «سول»!

الحياة

ان الحياة اغنية... فقم بغنائها
ان الحياة لعبة... فلم لا تلعبها؟
ان الحياة تحد... فلا تتقاعس عنه
ان الحياة حلم... فقم بتحقيقه
ان الحياة تضحية... فلا تردد بها
ان الحياة حب... فتّمتع به

(ساي بابا)

اذا طار طيرك

يعتبر المثل الكويتي «اذا طار طيرك قول سبيل» من الامثال الكويتية الساخرة، ويقال عندما يفقد احدنا شيئا بصورة تتجاوز قدراته ولا يود ان يعترف بالخسارة فيقوم باضفاء صفة جميلة على هذا الامر في معرض تبرير خجله من الخسارة. وقد حدثت مع الزعيم الهندي الراحل مهاتما غاندي حادثة معبرة قريبة من مثلنا : فعندما كان يهم بركوب القطار في احدى جولاته بين القرى الهندية النائية انزلقت «فردة» نعاله وسقطت منه على الارض، وتصادف ذلك مع اللحظة التي بدأ القطار فيها بالتحرك ولم يتمكن بالتالي من التقاطها، وهنا خلع الفردة الثانية ورماها فاستقرت قريبا من الاولى؛ فساله احد مرافقيه عن سبب تلك التضحية فقال : عندما يعثر ذلك الرجل الفقير على فردة نعالي فسوف لن يتمكن من استعمالها الا عندما يعثر على الفردة الاخرى!.